أ.د. أسعد السحمراني
مسؤول الشؤون الدينية في المؤتمر الشعبي اللبناني
أستاذ في جامعة الإمام الأوزاعي - بيروت

دراسات ومقالات

الإرهاب الصهيوني فكراً وممارسة

١- تمهيد:

يشكل الإرهاب السمة الرئيسة لفكر الصهاينة، وهذا المنهج نابع من نصوصهم التي خطوها وتضمنها العهد القديم (التوراة قسم منه) والتلمود، حيث زعموا أنهم شعب الله المختار مما ولّد عندهم حالة استعلاء ونزعة عدوانية ضد الأمم والشعوب، وأنتج ذلك، على امتداد تاريخ اليهود حسب المصادر المتنوعة، نمطاً عنصرياً كانت له نتائج مؤذية على من يتمكنون منه. وبالمقابل أنتج ذلك حالات من العداء ضدهم من الشعوب التي يتوجهون اليها بالأذى، فعاشوا بسبب ذلك حالة من عدم الإستقرار، وسيبقون كذلك لأن ما يؤمنون به ويلتزمون به من نصوص وأفكار يجعل من الصعوبة بمكان أن تكون بينهم وبين أية مجموعة بشرية علاقات مستقرة.

إن نصوص المسيحية والإسلام والمصادر التاريخية تحمل لنا الكثير مما يبرهن على الروح العنصرية التي يعتمدها اليهود، ويصور عدوانهم طالت مختلف الناس بمن في ذلك الأنبياء صلوات الله عليهم، أي أن عنصريتهم

وعدوانهم لم ترع حرمة ولم تلتزم عهداً أو ميثاقاً بل أن العنف والحقد والقتل كانت من سمات سلوكهم.

ونذكر في هذا الباب نصاً من إنجيل مرقس: «وكانوا في الطرق صاعدين الى أورشليم وكان يسوع يتقدمهم وهم منذهلون يتبعونه خائفين فأخذ أيضاً الإثني عشر وابتدأ يقول لهم ما سيعرض له. هوذا نحن عائدون الى أورشليم وابن البشر سيسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه الى الأمم. فيهزأون به ويبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم»[١].

والقرآن الكريم جاءنا بنصوص كثيرة تبلغنا عن عنصرية بني إسرائيل واليهود وعن عدوانهم واستباحتهم للحرمات، من هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾[٣].

إن تتبع محطات التاريخ التي تدور حول بني إسرائيل أو اليهود أو الصهاينة اليوم تحمل على الإقرار بأن العنف والعنصرية عنوانان أساسيان في المسيرة التاريخية لهذا الشعب.

و«تأتي الأحداث يوماً بعد يوم لتؤكد التزام اليهود لأسلوب العنف تحقيقاً لأهدافهم. وإذا كانت اليهودية قد تحولت في الغالب، إن لم نقل بشكل شامل، الى حركة صهيونية لها مشروعها السياسي الذي يهدف الى إقامة «إسرائيل الكبرى» تحقيقاً لوعد مزعوم في نص محرف، فإن الصهيونية بكل أتباعها وتفرعاتها جاءت مبنية على يهودية ترى فلسفة العنف من أهم ما يمكّنها من الوصول الى ما تريد»[٤].

ولهذه الغاية نرى أن قادة العدو الإسرائيلي قد حولوا مجتمعهم المغتصب

لفلسطين الى ثكنة عسكرية كبيرة فكل مواطنيها عسكريون مدربون ومسلحون، إن رئيس وزراء العدو نتنياهو يؤكد ذلك مبرراً بأن فعلهم هذا من أجل ردع المقاومة الحاصلة لهم والتي يسمونها إرهاباً، فيقول: «فمثلاً قطاع كبير من الشعب الإسرائيلي يتكون من رجال الإحتياط في الوحدات العسكرية، وكثير منهم يحمل السلاح الخفيف، الأمر الذي يقلل من إمكانية تنفيذ هجمات إرهابية ناجحة، وميزة هذه الوسائل لا تبدو نسبياً ظاهرة للعيان، كما ليس لها تقيد على حرية المواطنين، فالمواطنون لديهم الإستعداد بشكل كبير للهجوم الإرهابي المتوقع حدوثه»(٥).

السلاح موجود إذاً مع كل مواطن، ولا قيد على استخدامه ضد أصحاب الأرض العرب حيال ليس أي هجوم، وإنما ضد أي هجوم متوقع، أي يتوهم هجوماً فيقوم بفعل قتل أو طرد للناس ولا قيد على أفعاله، وهو مايسمى بالحرب الإستباقية.

٢- النزعة الإرهابية في الفكر اليهودي والصهيوني

إن الأدبيات الدينية المعتمدة عند اليهود في العهد القديم والتلمود عمادها نصوص تزرع روح الإستعلاء والعدوانية ضد كل من ليس يهودياً. فهم – حسب زعمهم – شعب الله المختار، وما عداهم هم «غوييم» أي الأغيار أو الأمميون، ولكن تلمودهم يحمل أوصافاً للغوييم تجعل منهم حيوانات بهيئة بشر.

يزعم اليهود أنهم «شعب الله المختار» وقد صاغوا نصوصاً في «العهد القديم» تخدم فكرتهم هذه منها: «والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لأن جميع الأرض لي»(٦).

ومنها: «لأنك شعب مقدس للرب الهك وإياك اصطفى الرب الهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض»(٧).

ونصوصهم الموضوعة تفيض بالعدوانية وروح العنف والقتل والدمار، وفي

كل ذلك ينسبون الأوامر للرب مما يجعل للإجرام والعدوان قداسة في فكر اليهود والصهاينة. ولمن يراهنون على سلام مع القاتل والمغتصب للأرض والمقدسات والمنتهك للحرمات، نذكر بعض ما جاء عند اليهود في العهد القديم، فمن نصوصهم التي تبرز منهجهم العدواني هذا النص: «فأضرب أهل تلك المدينة بحد السيف وأبسلها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحد السيف. وجميع سبلها أجمعه الى وسط ساحتها وأحرق بالنار تلك المدينة وجميع سبلها جملة للرب إلهك فتكون ركاماً الى الدهر لا تبنى بعد»(٨).

إن التربية عند اليهود ليس فيها إعتبار لحرمات تخص سواهم، وإنما يتصرفون دوماً على أن ما لسواهم مستباح لهم يحرقون ويدمرون ويقتلون، وبعد ذلك يتسلحون بأن فعلهم هذا نابع من أوامر أمرهم بها الرب حسب زعمهم. جاء عندهم في سفر يشوع ما يلي: «ولما فرغ بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العيّ في الصحراء وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعهم بحد السيف عن آخرهم، رجع جميع إسرائيل الى العيّ وضربوها بحد السيف. وكان جملة من قُتِل في ذلك اليوم من رجل وامرأة إثنا عشر ألفاً جميع أهل العيّ، ولم يرد يشوع يده التي مدها بالحربة حتى أبسل جميع سكان العيّ. فأما البهائم وسلب تلك المدينة فغنمها اسرائيل لأنفسهم على حسب أمر الرب الذي أمر به يشوع. وأحرق يشوع العيّ وجعلها تلّ ردمٍ الى الأبد خراباً الى هذا اليوم»(٩).

إن نصوصهم تفيد بأنهم اعداء الإنسان وكل من ليس على مذهبهم، وهنا نص يؤرخون فيه لقتالهم مع بني مدين، فليتأمل القارئ مزاعمهم: «فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكره.. وسبى بنو اسرائيل نساء مدين وأطفالهم وجميع بهائمهم ومواشيهم وأثاثهم غنموها. وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار»(١٠).

«لا أجد داعياً للإطالة، في عرض النصوص الواردة في العهد القديم، والتي تدعو كلها بني اسرائيل الى إبادة أعدائهم، وحرق مدنهم، وسلب كل ما

عندهم، لكن ما أوردته أريد أن يتبين القارئ من خلاله كيف يفكر ويخطط أصحاب الثقافة التوراتية، ويكون تبينه هذا – ربما – مدخلاً كي يقتنع بأهمية الإعداد لمواجهتهم، ودفع خطرهم المحدق بكل الناس، فأطماعهم لا حدود لها، وهي تقف أو تنطلق وفق قدرتهم القتالية»[١١].

أما الثقافة التلمودية وهي الأبلغ أثراً في الفكر الصهيوني فدرجة العنصرية فيها تفوق ما ذكرناه عن الثقافة التوراتية بكثير، ولعل السبب في ذلك يرجع الى أن التلمود قد تمت صياغته في أواخر القرن السادس للميلاد، ولهذا نجد فيه نصوصاً كثيرة تصرح بتحقير المسيحية وتعاديها، وهذا ما دفع قادة أوروبا في القرون الوسطى الى إحراق نسخ التلمود أكثر من مرة.

نكتفي بذكر هذا النص التلمودي لنأخذ فكرة عن روحية نصوص هذا السفر اليهودي الخطير بما يشيعه بين أتباعهم، وفيه قولهم: «الخارج عن دين يهود حيوان على العموم فسمه كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان، وقال الحاخام (أبار بانيل) المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة الذين خلقت الدنيا لأجلهم لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية»[١٢].

وإذا كان كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» غير مؤكد أمره ان كان من إنتاج يهود أو منسوب لهم لكن نصوصه تذهب المذهب نفسه الوارد في العهد القديم والتلمود، وما فيه يعبر عن الروح العنصرية نفسها، فقد جاء في البروتوكول الأول:

«لا علاقة للسياسة بالأخلاق قط، وإن الحكومة التي تسير بالأخلاق ليست حكومة رجال خبرة سياسية وبالتالي فإنها ليست مكينة في مقاعدها، إن الذي يريد أن يحكم عليه أن يعتمد على الخداع والمكر، وان الإستقامة والصرامة واللتين هما فضيلتين شعبيتين، تصبحان نقيصتين في السياسة، لأنهما أشد

فتكأ في الكيان الحكومي من أقوى الأعداء... إن حقنا يكمن في قوتنا... إن صاحب الحق هو الذي يملك القوة الكافية لتدمير كل المؤسسات، وكل نظام قائم»[(١٣)].

إن هذا النص يأتي مع ماورد آنفاً مبيناً مدى اعتماد اليهود والصهاينة اليوم على عنصر القوة، وكيف أنهم لا يبالون بالقيم والمبادئ، ولا يحترمون سواهم، وإنما كل همهم أن يحققوا ما يطمحون اليه مستبيحين كل شيء، ولا شيء محظور عندهم مادام يساعد على تحقيق أهدافهم، هذه هي الروح المثقلة بالعنصرية وبالعدوانية التي أنتجت فكرهم السياسي والذي ترجموه ويترجمونه اليوم من خلال مشروعهم في اغتصاب فلسطين وما يحيط بها.

٣- الإرهاب ملازم لمشروع دولة إسرائيل

إن المشروع الإسرائيلي الذي أسس لكيان محتل مغتصب قام منذ خطوته الأولى على الإرهاب، فالأطماع بفلسطين جاءت تلبي أطماعاً للمنظمات الصهيونية، وفي الوقت عينه جاءت تلبي رغبة إستعمارية غربية وأمريكية لاحقاً في زرع جسم غريب عميل لهم يهدد أمن الأمة العربية والمنطقة عموماً، ويقوم بحراسة مصالحهم.

إن دولة إسرائيل هذه قامت على الإرهاب من الأساس، فقد قامت المستعمرات على شكل تجمعات ممولة من الغرب ومدعومة منه، وتوافدت الهجرات اليهودية الى أرض فلسطين في إطار تركيز مواقع إستيطانية مسلحة تمهيداً لإقامة الدولة المغتصبة.

لقيام الدول قاعدة هي توافر أرض يعيش عليها شعب، هذا الشعب ينظم سلطة ودستوراً ويقيم مؤسسات ومنها مؤسسات عسكرية لحماية أمن الدولة، أما دولة العدو فقد قامت بشكل مخالف لسنن قيام الدول، حيث تشكلت عصابات مسلحة ومالية لاغتصاب الأرض، وقامت هذه العصابات بتهجيرأهل البلد من

أرضهم وممتلكاتهم وتشريدهم وقتل بعضهم بغرض زرع الرعب فيهم، وتهجير اليهود من مناطق عديدة في العالم من خلال الضغط أو افتعال حوادث أمنية وإقناعهم بأن يأتوا ليستوطنوا في فلسطين المحتلة.

إن تتبع مشروعات الإستيطان اليهودي المدعومة من الغرب كان الأساس في خططهم، فقد تلازم الغزو الصهيوني لفلسطين مع تأسيس العصابات المسلحة. فقد «تأسست أول منظمة عسكرية هي الحارس (هاشومير) في العام ١٩٠٩. وتتابع بعد ذلك تأسيس المنظمات مثل فرقة البغالة الصهيونية (١٩١٥)، والفيلق اليهودي (١٩١٥-١٩١٦)، والهاغانا (١٩٢١)، والبيتار (١٩٢٣) والإرغون (١٩٣١)، وشتيرن (١٩٣٧)، واللواء اليهودي (١٩٣٩-١٩٤٥)، والجدناع (١٩٣٩) والبالماخ (١٩٤١).

وقد انحلّ قسم من هذه المنظمات، واندمج بعض منها بالآخر، وكانت الهاغاناه هي المنظمة العسكرية الأولى التي ضمت اليها عدة منظمات وسيطرت مع ذراعها الضاربة البالماخ على الجانب العسكري من الغزوة الصهيونية، وغدت جيش الوكالة اليهودية، ثم تحولت فيما بعد الى جيش الدفاع الإسرائيلي يوم أن قامت الدولة»[١٤].

إن الجيش البريطاني مدعوماً من الغرب عموماً قدم للصهاينة كل الدعم والتسهيلات لممارسة العنف ضد الفلسطينيين تنفيذاً لأوسع عملية تهجير وإبادة لا تماثلها إلا عمليات الأوروبيين في القارة الأمريكية حين أبادوا وشردوا سكان البلاد الأصليين الهنود الحمر، وكأنهم أرادوا أن ينفذوا مشروعاً مماثلاً مرة ثانية في التاريخ.

وهكذا بدأت الهجمات اليهودية المسلحة على السكان العرب طوال العام ١٩٤٧ والأشهر الأولى من العام ١٩٤٨ الى حين قيام الدولة المغتصبة في أيار/ مايو من العام ١٩٤٨. وفي حين كان «عرب فلسطين غير مستعدين للحرب على الإطلاق، غير مسلحين في الغالب، وفي وضع دفاعي، شنّت الهاغاناه والإرغون تسفائي ليئومي (الإرغون) ولومامي حيروت يسرائيل (ليحي أو عصابة شتيرن)

ضربات هجومية منسقة ضد المدنيين العرب في المدن الرئيسية الثلاث، حيفا والقدس ويافا، وكذلك في الريف. ونفذت سلسلة من الغارات الليلية، وعمليات التفجير العشوائية، وتدمير المنازل، والمجازر الهادفة الى ترويع العرب وحملهم على الرحيل»[١٥].

ومن الهجمات اليهودية المتعددة، وهي أكثر من أن تحصى، نذكر منها واقعتين كنموذج للإرهاب الصهيوني في الممارسة:

١ـ حادثة تفجير فندق سميراميس في القدس التي حصلت ليلة ٥ كانون الثاني/ يناير من العام ١٩٤٨؛ حيث فجرت الهاغاناه الفندق الذي يقع في ضاحية القطمون فقتل ١٢ مدنياً عربياً ونائب القنصل الإسباني وجرح إثنان من العرب. وكان بين القتلى أربع نساء وخمسة أطفال.

ولم يكتف الصهاينة بالمذابح وإنما أرادوا تدمير المؤسسات والإقتصاد والعمران، وقد صرح بذلك يفنيل يادين وهو من مسؤولي الهاغاناه مع مطلع العام ١٩٤٨ حيث قال: «يجب أن نشل المواصلات العربية والإقتصاد، وأن نضيّق عليهم الخناق في الريف والمدن، فهذه هي الوسيلة لتدمير معنوياتهم»[١٦].

وتوالت بعدها عمليات الإرهاب الصهيوني، وقد توزعت في الأرض المحتلة والدول المحيطة بفلسطين: مصر والأردن وسوريا ولبنان، ووصلت الى مطار عينتيبة في أوغندا، وتونس والمفاعل النووي في العراق، ومن هذه المذابح التي تعطي بياناً واضحاً عن المنهج الإرهابي للصهاينة فكراً وممارسة مجزرة مدرسة بحر البقر في مصر ومجزرة قانا في لبنان يوم ١٨ نيسان/ أبريل ١٩٩٦ ومجزرة الحرم الإبراهيمي التي نفذها غولدشتاين في ربيع العام ١٩٩٤.

أما عن مصادرة الأراضي والمنازل والممتلكات والعدوان على المقدسات من حريق المسجد الأقصى في آب/ أغسطس من عام ١٩٦٩ الى سرقة كنيسة القيامة، والعدوان على أنقاضها، فحدّث ولا حرج، فالفكر إرهابي والممارسات كذلك والمشروع توسعي ولا حدود لعدوانهم وأطماعهم.

إن المستعمرات التي بناها ويبنيها قادة العدو في الأرض المحتلة أشبه ما تكون بحصون طبيعية تتمتع بالإكتفاء الذاتي، ومبنية على أسس عسكرية على رؤوس الجبال وتقاطعات الطرق مما يمكنها من السيطرة على المناطق المجاورة، ويسهل الدفاع عنها، ويرضي عقدة المجتمع الإسرائيلي بالشعور بالأمن.

«فهذه المستوطنات تقوم على وجود طلائع مدربة على السلاح، وسكانها جنود ومحاربون مثلما هم عمال ومزارعون، ووجودهم في هذه المستوطنات يغني إسرائيل عن الإحتفاظ بقوات عسكرية ضاربة على الحدود، ويوفر هذه الأيدي للمجال الإقتصادي، وتمثل هذه المستوطنات نقاط مقاومة وهجوم أمامية في الوقت نفسه»[١٧].

فكل تجمعاتهم السكنية يؤسسون لها على أساس مذهب القوة، ويدربونها على العنف والإرهاب، وإذا أردنا أن نحدد نظرية الأمن الإسرائيلي ونتعرف على ركائزها فيمكن أن نجملها بالأمور التالية».

١- القوة العسكرية المتفوقة تسليحياً وتقانياً وإعداداً.

٢- الإرتباط الإستراتيجي بالولايات المتحدة.

٣- إستراتيجية الردع.

٤- منع البلدان العربية من إمتلاك السلاح النووي أو أي سلاح ذي تدمير شامل.

٥- الحدود الآمنة والحدود القابلة للدفاع عنها»[١٨].

وقد عملت إسرائيل مدعومة بالولايات المتحدة والغرب من أجل امتلاك السلاح النووي والاسلحة الأخرى لتؤمن التفوق العسكري في إطار خوض حرب نفسية تحمل فيها العرب على الإستسلام – هكذا تظن وتتوهم – وتعمل على هذا الأساس من خلال حملات إعلامية وسياسية، وتسعى مع أمريكا لإتمام حلف الشرق الأوسط، الذي يريدون من خلاله نزع هوية الأمة وتحقيق أوسع عملية

إجتياح غير جغرافية بل إقتصادية وثقافية وسياسية.

وقد بيّن الأخ كمال شاتيلا هذا الخطر بقوله: «إننا كعرب نواجه حرباً نفسية ضارية لا تقارن حرب هتلر النفسية حينما اكتسح نصف القارة قبل أن تصل قواته العسكرية إليها، فالحرب النفسية ضدنا تتولاها وسائل إعلام متفوقة وكاسحة، تريدنا أن نستسلم لقوى وأوهام قبل أن نحاول التقاط الأنفاس والصمود.. تريدنا أن نقتنع باستحالة النهوض من الكبوة لنترك مصيرنا بأيدي غيرنا يشكله وفق غاياته ومصالحه»[١٩].

إن غاية الإرهاب الصهيوني المدعوم أمريكياً وغربياً أن تنجح الحرب النفسية وتستباح الأمة العربية من قبلهم. أما السلام المزعوم فأكذوبة لا تؤيدها الوقائع.

٤- الإرهاب والعنصرية في ممارساتهم الحالية

لم تغير الأحداث من النمط العنصري الإرهابي للصهاينة، ولا مؤتمر مدريد، الذي ذهب إليه العرب راضين بالمظلة الأمريكية المنحازة، بدّل من الأمر شيئاً، بل أسهم في ازدياد غطرسة العدو، وزاد من أطماعه في الأمة؛ لأن المواجهة على أساس قطري بدل المواجهة القومية الشاملة هي التي يريدها العدو في الحرب أو على طاولة المفاوضات لأنها تمكنه من فرض شروطه.

«وحتى الآن لم نقرأ تصريحاً إسرائيلياً رسمياً يتخلى عن مشروع اسرائيل الكبرى ولا عن أسس العقيدة الصهيونية... فعن أي سلام يتحدثون، وهم يأتون الى طاولة المفاوضات معبئين بعقيدة عنصرية ملؤها العنف والقتل والإبادة والإستعلاء؟»[٢٠].

وإذا كان شمعون بيريز رئيس وزراء العدو الأسبق قد طرح مشروعاً متكاملاً لاجتياح الأمة العربية، وذلك من خلال كتابه «الشرق الأوسط الجديد»، يطول البحث لو أردنا الوقوف على تفاصيل مشروعه، إلا أننا نتوقف قليلاً مع رئيس

وزراء العدو الأسبق نتنياهو، الذي يعبر بشكل صريح عن دفائن النفس اليهودية والصهيونية حتى المستترة بالسلام المزعوم.

يقول نتنياهو مؤكداً على ضرورة توفير أسباب القوة لدولة العدو الإسرائيلي لضمان تفوقها على العرب مايلي:

«إن السلام بين إسرائيل وجارتها، هو سلام ردع، وإن احتمال تحقيقه يرتبط بصورة مباشرة على قدرة اسرائيل في الردع. فكلما بدت اسرائيل أقوى، كلما أبدى العرب موافقتهم على إبرام السلام معها»[٢١].

ويقول نتنياهو كذلك: «لا أمن باستثناء الأمن الذي يعتمد على ردع المعتدي، وهذا هو السلام الوحيد الممكن تحقيقه حالياً بين اسرائيل والعرب، سلام مسلح وحذر، يوفر لاسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن استئناف الحرب»[٢٢].

هذه هي الحقيقة التي يبني عليها العدو، إنها الإرهاب واستخدام التفوق العسكري. وأمريكا منحازة له تموّله بما يحتاجه لهذه الغاية، ولم يجتمع هذا الشتات اليهودي من خلال المشروع الصهيوني من قوميات متعددة وبلاد مختلفة إلا لما يحمل من فكر عنصري ومنهج ارهابي ونوايا عدوانية توسعية.

إن متابعة مسار الانتفاضة الباسلة في فلسطين والتي بدأت في ٢٠٠٠/٩/٢٨ يبيّن منهج العدو الاسرائيلي العنصري والارهابي، فبداية الانتفاضة نفسها كانت عندما عمد المجرم شارون مع بعض أعوانه ومرافقيه الى الدخول الى الحرم القدسي الشريف، ولما تصدى له حراس المسجد الاقصى، والمواطنون الموجودون حينها في رحاب المسجد انطلقت الشرارة، وكانت الانتفاضة.

ومع تصاعد الانتفاضة كان مزاج جماعة كيان العدو مزاجاً متطرفاً إرهابياً وقد ظهر ذلك حين اسقطوا إيهود باراك، وأتوا بمجرم أكبر هو شارون الذي تسلّم السلطة في شباط/ فبراير ٢٠٠١ مهدداً ومتوعداً، وقطع على نفسه وعداً بأنه سيسحق الانتفاضة في مئة يوم. ولم يكن في نيّته ومشروعه ولن

يكون الالتزام بالقرارات الدولية، أو وقف التوسع والعدوان على حساب الحق الفلسطيني المشروع، وكان ذلك ولا يزال بتغطية من الشريك الامريكي، وبدعم منه، وصل في العام ٢٠٠٤ الى ١٤ مليار دولار، وبسكوت أو عدم حراك فعلي باتجاه اعطاء الفلسطينيين بعض حقوقهم من قبل الدول والقوى في العالم التي نجدها تسعى لتنفيذ قرارات دولية ظالمة وغير محقّة في غير فلسطين.

لقد مارس العدو الاسرائيلي ولايزال بقيادة المجرم شارون وبدعم أمريكي أكثر أنواع الإجرام. وقد سقط جراء هذا الاجرام الوحشي حتى آخر العام ٢٠٠٤ قرابة ٣٨٥٦ شهيداً، بينهم مئات من الاطفال أو النساء والشيوخ، وعدد الجرحى تجاوز ٥٢ ألفاً من كل الفئات والاعمار، وبين الجرحى من باتوا معوّقين، ورغم ذلك يعتقل العدو في سجونه أكثر من ٣ آلاف منهم، ومن المعوقين.

وتجلّى الاجرام الاسرائيلي في الحجر بعد البشر حيث صادر ٢١١٦٢٤ دونماً (الدونم ١٠٠٠ متر مربع) لبناء جدار الفصل العنصري، كما انهم جرّفوا من الاراضي الزراعية والمشجرة خصوصاً قرابة ٧٢٦٧٤ دونماً، واما عدد الاشجار المثمرة التي جرّفوها فيتجاوز المليون شجرة، وقد ردم ودمّر العدو ما يزيد على ٢٦٥ بئر ماء، والمنازل المدمرة كلياً أو التي لحقت بها الاضرار تربو على ٦٥ ألف منزل، ودمّروا قرابة ٣٨٨ مصنعاً، وبذلك يكون الدمار قد شمل معظم المرافق والبنى، وبشكل خاص الاقتصادية منها، وهذا السلوك الإجرامي يبيّن أساليب العدو وحقيقة نواياه العدوانية التي تشمل الانسان والارض والعمران والاقتصاد والمقدسات لأنه يمارس كما هي عادته سياسة الارض المحروقة.

ومن اشكال العدوان أن برلمان العدو أصدر الأمر المرقم ٥٧٦٣ بتاريخ ٢٠٠٣/٧/٣١ يمنع توحيد العائلات بين المتزوجين الفلسطينيين من الضفة الغربية بفتيات فلسطينيات من المقيمات في الاراضي المحتلة في العام ١٩٤٨.

ولم يستجب العدو للقرار الصادر من الامم المتحدة في ٢٠٠٣/٨/٢٢ الذي يطالب

بإلغاء الأمر الصادر عن برلمان العدو، كما انه ضرب بعرض الحائط ماصدر بالاتجاه نفسه عن لجنة الامم المتحدة لحقوق الانسان في ملاحظاتها الختامية (الفقرة ٢١) في الدورة (٧٨) بتاريخ ٢٠٠٣/٨/٢١.

هذا قليل من كثير من أشكال التمرد الاسرائيلي بدعم أمريكي من خلال حق النقض (الفيتو) على القرارات الدولية الصادرة عن هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن، وأبرزها القرارات ١٩٤ و٢٤٢و٣٣٨، فهذه القرارات تقضي بالانسحاب من الاراضي المحتلة في الجولان السورية ومزارع شبعا اللبنانية وسواها، وحق العودة للفلسطينيين الى ديارهم. إن العدو يتمرد على كل القرارات ومع ذلك لم نر الامريكي وسواه من الغيارى على الامم المتحدة وقراراتها في موقع العامل بحسم وجديّة كي يلتزم العدو الاسرائيلي بالقرارات الدولية، وبالتالي يوقف عدوانه وجرائمه التي لم تشهد لها البشرية مثيلاً.

ولابد من عرض الوجه المقابل ألا وهو فعل الانتفاضة ضد العدو الاسرائيلي حيث سقط أكثر من ١١٠٠ قتيل، وتجاوز عدد الجرحى عند العدو ١١ ألف جريحاً أكثر من نصفهم من العسكر.

وفي تقرير مع نهاية العام ٢٠٠٢ تبيّن أن خسائر العدو المالية اليومية بمعدل ٣٠ مليون دولار، وأن أكثر من ٦٦ بالمئة من المنشآت السياحية قد اغلقت ابوابها، وأن الايراد السنوي للسياحة كان يتجاوز قبل الانتفاضة أكثر من ٧ مليارات دولار، وأصبح بعد الانتفاضة دون ٥٠٠ مليون دولار (نصف مليار).

ومن آثار الانتفاضة على العدو انه اضطر الى أن يخصص ٣٠ بالمئة من ميزانيته للانفاق لمواجهة الانتفاضة على الجيش والشرطة، وقد اثّر ذلك على قطاع الخدمات، وكما ان الانتفاضة كان لها أثرها في رفع نسبة البطالة التي تجاوزت ١١ بالمئة، يضاف الى ذلك استدعاء عشرات ألوف الجنود الاحتياطيين الى الخدمة فهذا له تكلفته المالية التي تبلغ ٥٤ مليون دولار يومياً، وله تكلفة اخرى في مواقع العمل التي تركوها، هذا بالاضافة الى تراجع مستوى

الاستثمارات القادمة الى فلسطين المحتلة، ومن جهة أخرى فرّت رؤوس أموال عديدة، وعلى سبيل المثال كانت نسبة الاموال الآتية للاستثمار قبل الانتفاضة في النصف الاول من العام ٢٠٠٠ بحدود ١١،٣٤ مليار دولار، وقد تراجعت الى ٣/٤٣ مليار في النصف الاول من العام ٢٠٠٢، وقد تراجعت اكثر في السنوات اللاحقة والتراجع نفسه ظهر في حالة الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة، وفرار مئات الآلاف من اليهود من الارض المحتلة.

٥- خاتمة

اليوم ونحن نقف أمام مفترق خطير، وحبات السبحة لاتزال تكرّ، والعدو يزداد غطرسة، ويحشد ما استطاع من آلة الحرب بمختلف انواعها مدعوماً من أمريكا والغرب خاصة بعد احتلال العراق والعلاقة الجدلية بين اغتصاب فلسطين واغتصاب العراق وتطابق مشروع الغزو واهدافه بين الامريكي والاسرائيلي، لابد لنا أن نضع إصبعنا على الجرح ونرسم استراتيجية المواجهة، ونقترح لذلك ما يلي:

١ـ الاعداد والاستعداد وتوفير القوة تحقيقاً لحركة مقاومة ومجابهة على قاعدة: ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة.

٢- الإنتقال بالمواجهة وباستراتيجية الصراع من القطرية الى القومية ومن الإنفراد بالموقف الى التضامن العربي المواجه من خلال خطة موحدة تحت سقف جامعة الدول العربية.

٣- الحفاظ على الوحدة الوطنية في بلداننا لأنها مستهدفة، فالتفتيت ومشروع الدويلات والصراعات في الجبهة الداخلية العربية كل هذه الاشياء تمكن العدو من مخططه وتحقيق مؤامراته ضد امتنا.

٤- إعطاء الفرصة الكافية لشعب الامة بكل قواه الحيّة كي يشترك في معركة المصير والوجود، لذلك من الاهمية بمكان أن تطلق الطاقات وتحشد

الامكانات في مختلف الميادين لمجابهة الخطر ودفعه، تمهيداً لتحرير الأرض والمقدسات واسترداد الحقوق.

٥- كل الجهود يجب ان تنصب في خانة المعركة ضد العدو الصهيوني وضد المحتل الاسرائيلي والامريكي وحلفائهما على أساس فكر المواجهة وثقافة المقاومة، ولنلتزم الشعار القائل: لا صوت يعلو فوق صوت المعركة ولا نداء أقدس من ندائها.

٦- من المفيد عربياً بعد رسم استراتيجية للمواجهة رسمية وشعبية تحت سقف جامعة الدول العربية ان تستمر قوى الدعم لنا في منظمة المؤتمر الاسلامي والاصدقاء كافة من دول العالم الذين يؤيدون حقنا المشروع في استرداد أرضنا المغتصبة وحقوقنا المسلوبة في فلسطين والعراق وسائر المواقع في الامة.

الهوامش:

١ _ انجيل مرقس، الإصحاح العاشر، الآيات ٣٢، ٣٣، ٣٤.

٢ _ آل عمران/ ١٨١.

٣ _ المائدة/ ٧٠.

٤ _ السحمراني، د. أسعد، المشروع الصهيوني الجديد، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ١٧٩.

٥ _ نتنياهو، بنيامين، محاربة الارهاب، ترجمة عمر السيد وأيمن حامد، القاهرة، دار النهار، ط ١، سنة ١٩٩٦م، ص ٢٧.

٦ _ سفر الخروج، الاصحاح ١٩، آية ٥، ٦.

٧ _ سفر تثنية الاشتراع، الاصحاح ٧، الآية ٦

٨ _سفر تثنية الاشتراع، الاصحاح ١٣، آية ١٥، ١٦.

٩ _سفر يشوع، الاصحاح الثامن، آية ٢٤ وما بعدها.

١٠ _سفر العدد، آية ٧ وما بعدها.

١١ _السحمراني، د. أسعد، من اليهودية الى الصهيونية، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ١٧٩.

١٢ _روهلنج، د. أغسطس، الكنز المرصود في قواعد التلمودية، ترجمة د. يوسف نصر الله، مصر، مطبعة المعارف، ط ١، سنة ١٨٩٩، ص ٥٣.

١٢ _بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتقديم د. إحسان حقّي، د. يوسف نصر الله، مصر، مطبعة المعارف، ط١، سنة ١٨٩٩، ص ٥٣.

١٤ _الكيلاني، د. هيثم، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الاسرائيلية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، سنة ١٩٩١، ص ٨٧.

١٥ _مصالحة، د. نور الدين، طرد الفلسطينيين – مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين (١٨٨٢- ١٩٤٨)، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، سنة ١٩٩٢، ص ١٤٣.

١٦ _مصالحة ، د. نور الدين، م.س، ص ١٥٩.

١٧ _بركات، د. نظام محمود، الاستيطان الاسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، سنة ١٩٨٨، ص ٢٣٩، ٢٣٨.

١٨ _الكيلاني، د. هيثم، م.س، ص ٥٦٧.

١٩ _ شاتيلا، كمال، التضامن العربي: لماذا تراجع وكيف يستعاد؟ بيروت، المركز الوطني للدراسات والنشر، بدون تاريخ، ص ٨ .

٢٠ _ شاتيلا، كمال، رؤية قومية لمسار التسوية، بيروت، المركز الوطني للدراسات والنشر، بدون تاريخ، ص ٨ .

٢١ _ نتنياهو، بنيامين، مكان تحت الشمس، ترجمة محمد عودة الدويري، مراجعة وتصويب كلثوم السعدي، عمّان، دار الجليل، ط ١، سنة ١٩٩٥، ص ٢٨٨

٢٢ _نتنياهو، بنيامين، مكان تحت الشمس، م. س، ص ٢٩١.